
SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LUMINE TUO VIDEBIMUS LUMEN

مؤلفات السيد الفيضي

شرح
نشيد الأرواح

كشف النقاب . ورفع الغطاء عن قيمة الانسان . وحقيقة النفس وحكمة هبوطها إلى عالم الكون والغرض من حياة الانسان على الأرض

وضعه الأستاذ

السيد محمود أبو الفيض المنوفي

عميد الفيضيين

مجاوبا الفيلاسوف ابن سينا على ما سأل عنه من حكمة هبوط النفس إلى حضيض الطبيعة فى قصيدته التى مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

شرحه ووضح معجمه أحد تلاميذه

الطبعة الرابعة « منقحة »

الناشر : المكتبة الفيضية ودار النشرت ٥٧٥٩٧ ص . ب ٢٠١٤
شارع قصر النيل : طلعت حرب نمرة ٢٠ و ٤ ميدان مصطفى كامل

مطبعة حجازى بالقاهرة

مؤلفات السيد الفيضي

شرح
نشيد الأرواح

كشف النقاب . ورفع الغطاء عن قيمة الانسان . وحقيقة النفس وحكمة هبوطها إلى عالم الكون والغرض من حياة الانسان على الأرض

وضعه الأستاذ

السيد محمود أبو الفيض المنوفي

عميد الفيضيين ومنشىء لواء الاسلام

مجاوبا الفيلاسوف ابن سينا على ما سأل عنه من حكمة هبوط النفس إلى حضيض الطبيعة فى قصيدته التى مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

شرحه ووضح معجمه أحد تلاميذه

الطبعة الرابعة « منقحة »

الناشر : المكتبة الفيضية ودار النشر ت ٥٧٥٩٧

شارع قصر النيل : طلعت حرب نمرة ٢٠ ص . ب ٢٠١٤

مطبعة حجازى بالقاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله روح الأرواح . الذى تفضل بسر حكمته على لطائف الاشباح . والذى نور جميع الهياكل والمظاهر بنور سره الباهر ووصف نفسه بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن . ظهر بنوره لنوره . وتجلى بذاته لذاته . فكانت صفاته . وظلال صفاته أفعاله . وآثار أفعاله مخلوقاته . فشوق لشهوده وعرفانه الإستعدادات والقوابل . والصلاة والسلام على أول

نور برز من عماء القدم إلى عالم الظهور والامكان . وأفضل من أوتى فصل الخطاب والبيان سيدنا محمد بن عبد الله مظهر القرآن ، وفرقان الأكوان . وعلى آله وأصحابه وأنصاره أوتاد العلم وأركان الإيمان . أهل الشهودة والعيان والذوق والوجدان . الذين رضى الله عنهم وقربهم . وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان

(وبعد)

فقد سألنى واحد من التلامذة الأعزاء . وطير من الطيور التى بأفنان العرفان لائذة . وروح من الأرواح التى على فلك التحقق بالتحقيق دائرة . أن أفصح له عن سر ما سأل عنه الفيلسوف ابن سينا الملقب بالرئيس ، من حكمة هبوط النفس إلى عالم الكون وموطن النقص بعد مجاورة عالم القدس فى أبياته التى يقول فيها سائلا متحيراً :

إن أهبطها الاله لحكمة
طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فلأى شيء أهبطت من شامخ
سام إلى قعر الحضيض الأوضع
أنعم بردّ جواب ما أنا فاحص
عنه فنار العلم ذات تشعشع

من قصيدته فى النفس التى مطلعها : —

(هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع)

ولما توخيت اجابة طلبته . وابلاغه امنيته . سألته ماذا يعنيك من شرح هذه الأبيات المشوقات المحيرات التى سألت عن الحكمة وما كشفت ، وتصدت للبيان وما أجابت . ووقفت بين الشك واليقين ، فزادت حيرة المتحيرين . قال : إنها حركت ذاتى لاستكناه

الحقيقة فشغفت . ولحق اليقين تشوقت ، وعن السر الذى سأل عنه ناظم الأبيات تساءلت . فتقدمت لطبيب قلبى وأستاذى فى كشف النقاب . لتبين الحقيقة ولما نالنى من الشغف بذلك . تجرأت على السؤال وما أحجمت ، رجاءان يتم النعمة ، ويكشف الغمة ، بما أوتى من علم وحكمة .

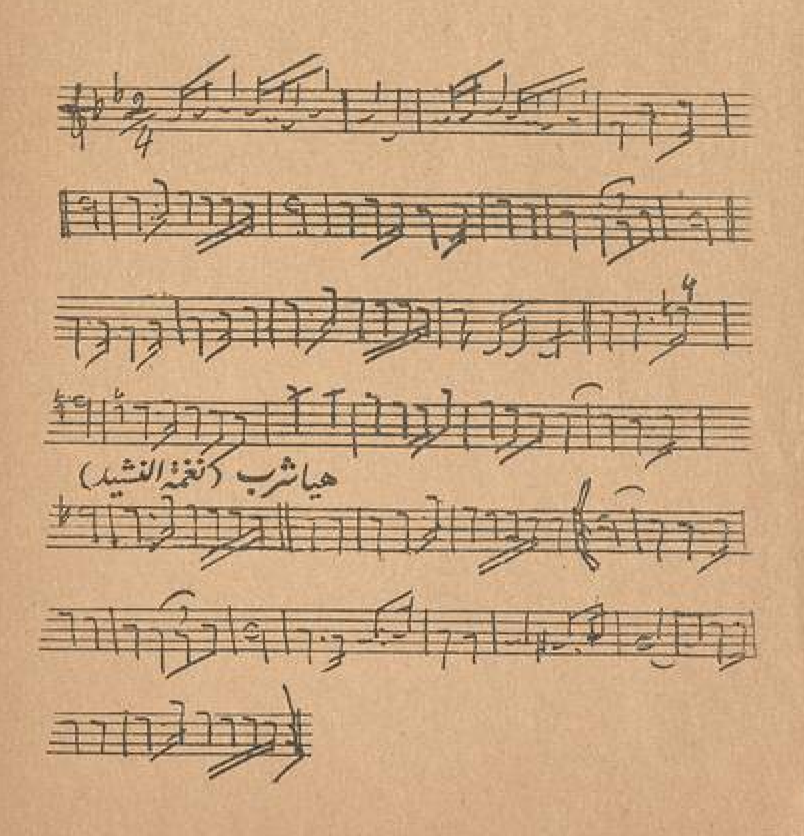
فحركنى طلبه لنظم نشيد الأرواح وتبيين الحق الواضح فيه ، مما كانت الرجال تلغزه وتخفيه ، اجابة عما سأل عنه ناظم أبياته ومحرك أفكاره . ومسبب حيرته . خدمة للحكمة ، وتنشيطا لكل ذى همة . ولكيلا يقال : مرت القرون وعاش الحكماء والعلماء وماتوا ولم يستطيعوا للسر كشفا ، ولم ياتوا على سؤال فى الحكمة بجواب أشفى فرأيت الحركة للجواب من الصواب .

وسألت الله فصل الخطاب ورفع الحجاب ، وتمزيق الارتياب فمنّ وهو المنان ، وماقدر كان . والنشيد أيها القارىء بين يديك فان كنت من فرسان ميدانه . فأنت المقصود به وهو موجه اليك ، وإلا فدع مالم يصل اليه فهمك ـ ولا عليك ـ وما جئتك إلا بما ألقى فى الروع من إلهام والأمر لله ابتداء ومرجعا والسلام ؟

(أبو الفيض المنوفى)

المقدمة

نشيد الأرواح



النشيد

١

(١) هيا يا سِرب المعالى

نحوَ أبوابِ السماء

(٢) وانشدُوا لحن الجمالِ

واغنموا وقتَ الصفاء

(٣) واخلعوا الجسمَ وطيرُوا

واهجرُوا كونَ الفناء

(٤) واسبقوا ريحَ الشمالِ

فى ميـــادين الفضاء

٢

(٥) نحوَ أوْطانِ الكمالِ

والسعادةِ والنقاء

(٦) واطرقوا البابَ وقولوا

افتحوا يا أهلَ العلاء

(٧) كُلنا صبٌّ مَشوقٌ

كُلنا يرجُو اللقاء

(٨) فاكرِمونا واقبلُونا

وافتحوا بابَ الضياء

٣

(٩) فاذَ احتجُّوا وقالوا

إنكمْ طينٌ وماء

(١٠) أرْضكم دارُ الفسادِ

طبعكم سفكُ الدماء

(١١) عاقكمْ جسمٌ كثيفٌ

عَنْ سَبيلِ الأصفياء

(١٢) فاحسنوا الردَّ وقولوا

نحنُ أبناءُ السماء

٤

(١٣) قد هبِطنا من عُلوّ

إمتثالا للقضاء

(١٤) وسكنا الأرْض حيناً

لامتحانٍ وابتلاء

(١٥) وظهورٍ لصِفاتٍ

حيث نحن الخلفاء

(١٦) ولقد عُدْنا إليكم

نرتجى كشف الغطاء

٥

(١٧) رَبُّكم حقًا وعـدنا
مِثلَكم دارَ البقاء
(١٨) وَلَنـــا فيها مُقامٌ
وخُلُودٌ وهَنـــاء
(١٩) ولَنَا ربٌّ رحيمٌ
ونصيرُ الأتقيـاء
(٢٠) وهُوَ وهابٌ حكيمٌ
وكريمٌ في العطاء

٦

(٢١) وهوَ للداعِي مجيبٌ

وسميعٌ للدعاء

(٢٢) لطفُهُ منا قريبٌ

فى ظهورٍ وخفاء

(٢٣) سرنا سر عجيبٌ

ضلَّ فيه الأذكياء

(٢٤) جسمنا رمزٌ بديعٌ

ألهتَه القدماء

٧

(٢٥) ذَاتنا كنز ثمينٌ

أعيَي فهمَ الحكماء

(٢٦) وهيَ مرآةُ العلوم

وهيَ قصدُ الأنبياء

(٢٧) وَهي خلقٌ وَهي أمرٌ

وهيَ عرشٌ واستوَاء

(٢٨) وهيَ لاهوتُ التجلي

وناسوتُ الاصطفاء

٨

(٢٩) وهى شمسُ الذات فينا
وهى نورٌ وسناء
(٣٠) فاكثروا الشكرَ جميعاً
فهوَ أصلُ الاجتباء
(٣١) ثمَّ صلوا كلَّ حينٍ
فى صباحٍ ومساء
(٣٢) على أصلِ النور طه
فى ابتداءٍ وانتهاء

كلمة الشارح

الحمدلله باعث الأنوار فى قلوب الاحرار ، المتجلى على الارواح والافئدة بدقيق المعانى وخفايا الأسرار والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى إليه أوحى . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى . محمد ينبوع الحكمة ، ومنبت الفضل والرحمة ، قائد الصديقين والحكماء والانبياء . إلى باحات المشاهدة والصفاء ، وعلى آله وأصحابه وأنصاره مصابيح الأمة ، ومنيرو الكون فى الظلمة (وبعد) فقد تمنيت فى الدهر أمنية . أخذت بلبى ، وملكت عنان قلبى ، فلم أجد إلى نوالها سبيلا غير أن ألجأ إلى أستاذى الحكيم النبيل والحبر الجليل

السيد محمود أبو الفيض المنوفى الحسنى ، وفعلا تقدمت إليه راجيا بلوغ أمنيتى ، وارشادى إلى ضالتى ، وكشف حيرتى وابلال غلتى وقد فعل لاعدمته ، ولا حرمت فضله وعلمه . وعفواً أيها القارىء الكريم ، إذا شغلنى وصف أمنيتى عن ذكرها ، والتغنى بها عن تبيينها وكأنك تسألنى ماهى أمنيتك ، وتستفسرنى ماطلبتك ؟ فأقول لك قدفاتك أن قلوب الاحرار ، لاتصبو إلا الى الأنوار ، ودقيق المعانى وأبكار الاسرار ، وما منعنى من التصريح باسم ماصبوا اليه ، إلا خوفى من أن يشوقك مثلى فتنشده معى ولكن لا بأس اذا باح الانسان بالحكمة للاخيار وأودع الحقائق قلوب الفتية الأبرار ، ألا فاعلم أن معشوقى الذى تيمنى هو (نشيد الأرواح) ومبيد الاتراح ، الذى كشف لى عن سر وجودى ، وبين ماخفى من حقيقتى وحكمة نشأتى ، فكان لشكوكى

واشكالات نفسى كالدواء للمريض الذى زاد سقمه ، أو كالماء العذب وقع على قلب العطشان الصدى الذى اشتد ظمأه . غير أنى لا أحب المنفعة لنفسى دون أهل بجدتى وأبناء جنسى ، فرغبت فى نشره ليزداد نفعه . ولكشف مافى القلوب من شكوك والتباس ، وكم فيه من شفاء للناس ذوى لالباب من حيرته الشكوك فى عرفان ذاته ، وكم من مريض فى أهل الذكاء أعيته أفكاره وتصوراته ، لذلك استأذنت أستاذى ، فى اخراج نشيد الأرواح من كناس الخفاء ، إلى فضاء الظهور ، لتعميم الحكمة ونشر ذلك النور ، فقال حفظه الله : ان سألتنى اخراجه ونشره ، فعليك بتوضيحه وشرحه ، وفض لثامه وفتح قفله ، والدخول بالناس إلى كهنه ، لتجزل فائدته ، ويعم الانتفاع به ، فاطعت أمر من لايسعنى عصيانه ولانسيان احسانه ، وشرحته

بعد أن شرحني وشفاني . وبينت حقيقته . وحللت ألفاظه ، وفتحت للطلاب أبوابه . فتعال أيها القارىء الكريم معي ، واضعاً يدك بيدي . وندخل معاً فيه . فأدلك على أبواب معانيه . ومسالك مبانيه . واللبيب أشارة تكفيه ، واتخذني في ذلك خادماً أميناً ،لامرشداً ولا دليلا ، وهيا بنا إلى المسير في الشرح والتفسير . وأفوض أمري إلى اللطيف الخبير ؟

« عبد الحليم أمين الططاوي »

— ١ —

« هيا ياسرب المعالى نحو أبواب السماء »

السرب فى الأصل يطلق على جماعة الطيور مجتمعة وسابحة فى الفضاء ، وهنا كناية عن الأرواح المؤتلفة المتحدة على طلب الحقيقة واستكشاف المعانى وقد نسب الأستاذ رضى الله عنه سرب الأرواح إلى المعالى لان النفس لاتفتأ تصبو إلى عالم النور كما تصبو النار دائما إلى جهة العلو . والابواب هنا من باب المجاز والمراد الجهة والطريق . والسماء كل ماسما . فكأنه يقول هلمى أيتها الارواح المتسامية الطالبة للحقيقة نحو عالم المعانى والنور والحكمة .

— ٢ —

« وانشدوا لحن الجمال واغنموا وقت الصفاء »

أى انتهزوا فرصة انشراح الصدور وانبساط النفوس والتشوق إلى عالم النور والسعادة . واغنموا وقت الصفاء ، واطلبوا فيه الاستمداد من السماء ، ولا صفاء يعادل صفو النفس وسرورها حين فراغها من الشواغل المادية . والعوائق الكونية وخلوها من قيود الهموم وأغلال الأوهام ، وتذكرها عالمها الأعلى وموطنها الأسمى .

(٣)

(واخلعوا الجسم وطيروا واهجروا كون الفناء)

كناية عن تخلية القلب من هم حاجيات الجسد وأوهام الطبع . لأن الجسد سجن الروح الشاغل لها بالتفاتها لتدبيره عن استشراف عالمها وإدراك أصلها ، والمقصود بعالم الفناء هنا : عالم الطبيعة الذى نعيش فيه

ذلك العالم المادى الذى وإن كان العيش فيه ضرورة، إلا أنه زائل فانى، تتعاقب عليه عوامل الفساد فى كل لحظة، بخلاف عالم الأرواح الدائم الخالد. الذى هو سرور بلا ألم وصفو بلا كدر

(٤)

(واسبقوا ريح الشمال في ميادين الفضاء)

الميادين هنا مجازية، والمراد بالفضاء: سماء الحقيقة وعالم المعانى، المنزه عن الحدود والأزمنة. لأن الأرواح يمكنها أن تطوف العالم العلوى والسفلى فى أقل من لحظة الطرف. والمراد بريح الشمال ريح جهة الشمال لاشتداد هبوبه وسرعة سيره. ولا فضاء أوسع من فضاء الحقيقة ولا ميدان أفسح من ميادينها!

(٥)

(نحو أوطان الكمال والسعادة والنقاء)

لكل موجود وطن . فوطن الجسم التراب . ووطن الروح سماء المعانى . وهو موطن الحكمة والكمال ، ومحتد الأنوار والجمال . ومهبط السعادة — ولا سعادة أكمل من سعادة الروح بإشرافها على عالمها . ولا نقاء أنقى من ذلك العالم !

(٦)

(واطرقوا الباب وقولوا افتحوا يا أهل العلاء)

الباب هنا مجاز أيضا . فلا باب مادى للسماء ولكن المراد طرق خفايا الحقائق باستعدادات القلوب والأفئدة لتهبط عليها الأسرار من سمائها . والمراد بأهل العلاء الملائكة والعقول السماوية التى تقذف بالحقائق إلى

قلوب الأصفياء من البشر !

(٧)

(كلنا صب مشوق كلنا يرجو اللقاء)

الصبوة أو التصابى : اشتداد الشوق وولوع القلب بالمحبوب — على أن لا شوق ولا ولع أشد من شوق الروح إلى معرفة حقيقتها وأصل نشأتها ! ولا أعمق من الإنسان رجاء لنيل ما تشوق إليه وتوله بحبه من أمثال تلك المعانى الشريفة !

(٨)

(فاكرمونا واقبلونا وافتحوا باب الضياء)

تستعطف الأرواح الملائكة لتسمح لها بالدخول إلى عالم المعانى وسماء غيب الحقيقة . وذلك لشعورها بنقصها لسبب مجاورة الجسد وسكنى الطبيعة المظلمة .

والمراد بعالم الضياء . عالم ما وراء الطبيعة الذى تتمتع فيه الملائكة بالصفاء والقرب من الحق !

(٩)

(فإذا احتجوا وقالوا إنكم طـين وماء)

أى — إذا احتجت الملائكة بكمالها على نقصكم . وعدم صلاحيتكم للسماء بأن قالوا : إن الأصل فيكم الطين والماء ، وحقيقة أن أصل الهيكل الجسدانى التراب المعبر عنه هنا بالطين ، لأن الله خلق كل حى فى الطبيعة من التراب . وجعل من الماء كل شىء حى . فالتراب هو الأصل فى كل جسد حى ، ولا حياة له إلا بالماء . هذا من جهة الجسد فقط . وأما الروح فهى منزهة عن كل ذلك ، ولا حياة لها إلا بالنور وفى النور . . . !

(١٠)

(أرضكم دار الفساد   طبعكم سفك الدماء)

وإذا قالوا أيضاً : إن أرضكم أى عالم السكون دار فساد . وإن أصلها العدم ثم تؤول إلى العدم . وإن طبعكم سفك الدماء . لكونكم ركبتم من ذلك العالم المادى ولما ركب فيكم من الغرائز الحيوانية . والصفات الغريزية مما لا بد منه فى حياتكم الأرضية

(١١)

(عاقكم جسم كثيف   عن سبيل الأصفياء)

وإن قالوا أيضا : إن أجسادكم الطينية عائقة لكم عن سبيل الأصفياء المجردين عن المادة من الملائكة أو الأرواح التى تخلصت وخرجت من الطبيعة . وذلك لما يترتب على اعتقال الروح بالجسد من الحجاب عن

القداسة والطهارة .

(١٢)

(فأحسنوا الرد وقولوا نحن أبنـــاء السماء)

أى فأحسنوا الرد فى الدفاع عن أنفسم يا أبناء آدم وقولوا للملائكة : نحن أيضا أبناء السماء . وذلك لما أودع فيكم من السر الإلهى والروح العلوى السامى : الذى قال فيه ربكم حين تفضـــل به على أبيكم الأول مخاطبا الملائكة . (إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) حيث نسب ما أفاضه على آدم من الروح إلى ذاته المقدسـة ، فلا يضيركم إذاً ما سجنتم فيه إلى أمد من جسـد مشوب بالعلل والحاجيات ، والتقلبات فى الشؤون الأرضية والصفات البشرية . حيث أن الله ما أراد ذلك إلا

لحكمة سامية يؤهلكم بها إلى نيل الدرجات العلية ومنها الخلافة الالهية . ومن هنا ابتدأ الأستاذ رضى الله عنه يجاوب ابن سينا على أسئلته عن حكمة هبوط النفس من العالم الأعلى إلى ذلك الكون الأدنى ، وسر وجودها فيه واعتقالها فى الجسد عند من ابن سينا قصيدته فى النفس .

إن كان أهبطها الإله لحكمة
طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فلأى شىء أهبطت من شامخ
سام إلى قعر الحضيض الأوضع
أنعم برد جواب ما أنا فاحص
عنه فنار العلم ذات تشعشع

(١٣)

(قد هبطنا من علو امتثالا للقضـــاء)

أى قد هبطنا من عالمنا الأعلى . الذى هو أصل ذواتنا امتثالا لمـا قضاه الله من الحكمة التى هى سبب كمالنا ، وتمـام وجودنا . ورضينا بمـا قدر لنا ، إذعانا لحكمته ، وامتثالا لطاعته ، وللنيابة عن حضرته فى الأرض ، وإقامة عدالته سبحانه فيها وحراسة نظامها . وترتيب أسبابها إظهاراً لقدرته وتتميما لمشيئته . حتى تصـل أنواع الموجودات إلى ما أعد لها من الكمال . لأن الله يدير الطبيعة بيد الانسان ، فهو نائبه وخليفة حضرته . ولذلك قضى الله عليـه بالثبوت فى الأرض ليخلفه ويكون آلته العاملة فى عالم الـكون والفساد . إلى أمد معلوم وعمر محدود !

(١٤)

(وسكنا الأرض حيناً لامتحان وابتلاء)

لأن من حكمة هبوط النفس إلى سجن الطبيعة تطهيرها وتمحيصها واصهارها بنيران الابتلاء . ومعاناة الظلمات والنور ، والخيرات والشرور . لتعود كاملة عالمة بكل ما أودعه الله فى الأرض من أسرار ، وفى السماء من أنوار . حيث لايعرف قدر النور من أقام فيه ولم يعان الظلمة . ولا يعرف الجمال إلا بوجود الجلال ولا يفقه الخير إلا بوجود الشر . ولا تتم الحكمة والخلافة إلا بالجمع بين الضدين . فاذا ماتطورت النفس فى الحالين ، وذاقت الضدين وذهبت المذهبين صارت مظهراً كاملا لنور الالوهية وعرشا ثابتا للعزة الصمدانية ونموذجا كاملا للصفات الربانية الجامعة بين الاضداد

من رحمة وقهر ، وحكمة وعدل ، وجمال وجلال ، وقرب وبعد ، وتعال وتدل . فسبحان الذى كل يوم هو فى شأن . وهو المنزه عن التشبيه والتحديد والزمان والمكان . الذى خلق الانسان وعلمه البيان !

(١٥)

(وظهور لصفات حيث نحن الخلفاء)

حيث أن الله سبحانه وتعالى لا يتجلى بكامل صفاته الجلالية والجمالية إلا على مظهر كامل . قد جمع بين الضدين وحاز النشأتين فلا يصلح لهذا التجلى الكامل مافى الأرض من دواب ، لما فيها من النقص ، ولا ما فى السماء من ملائكة لما فيهم من النور الصرف . ولذلك خلق الانسان جامعا بين النور والظلمة والملائكية والحيوانية . وجعله أشرف مافى الاكوان علويها

وسفليها ، ليكون مرآة للظهور الكامل ، والتجلى الشامل
ولذلك قال سبحانه وتعالى مخاطبا الملائكة : (إنى جاعل
فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لا احتجاجا
ولا اعتراضا على الارادة الالاهية ولكن استفساراً
واستفهاما عن الحقيقة . وتساؤلا عن باطن الحكمة
حيث نظروا للانسان من جهة ظاهره الجسمانى ولم
يفطنوا لما انطوى عليه من السر الربانى والنور الصمدانى
لذلك قال لهم سبحانه وتعالى (إنى أعلم مالا تعلمون)
ولكونهم لم يسألوا تعنتاً ولا اعتراضا أراد الله سبحانه
وتعالى أن يبين لهم سبب هذا الاختصاص بتلك الرحمة
وسر ما تفضل به على آدم من النعمة . وأخذ يوقفهم
على الحكمة بالفعل بعد أن جاوبهم بالقول (وعلم
آدم الأسماء كلها) وهى أعيان الموجودات ومعانيها

من علوية وسفلية بجمعية آدم الارضية والسماوية (ثم عرضهم على الملائكة) الذين لاعلم لهم الا بالمعانى النورانية والشئون المعنوية . ولاقبل لهم بحقائق الكائنات المادية . والموجودات الحسية (فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم) أى ما علمتنا من شؤون السماء وأسرار المعانى . ولم تهبنا علم الارض وأطوار المادة . فأشار إلى آدم الجامع بين الضدين الحائز لسر النشأتين و(قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) قال سبحانه وتعالى للملائكة (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) ثم قال سبحانه وتعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)

ومن البديهى أن الملائكة لم يسجدوا لهيكل آدم الطينى بل هم فى الحقيقة سجدوا لله المتجلى على آدم بنوره وأسمائه وصفاته . وكان السجود حينئذ اقراراً وأذعانا بفضل آدم . واعترافا باصطفائه وخلافته فسكن آدم الأرض راضيا بمشيئة ربه . منفذا لحكمة صانعه ومبدعه شاكرا له على نعمته وفضله . ورضى أن يسكن الأرض حينا ليعود ثانيا إلى السماء سيدا عظيما . ونعمر الحق ليس أعظم من هذا فضل من خالق على مخلوق ونعمة وتشريف ورحمة ! ولكن أليس سبب هذه الاهلية والاستحقاق هبوط النفس من مكانتها العلوية إلى مجاورات الكائنات الأرضية

(١٦)

(ولقد عدنا اليكم ترتجى كشف الغطاء)

أى عدنا اليكم يامعشر الملائكة بالتجرد عن

علائق المادة والانفلات من الجسد. وهو ثوب روحيتنا الكثيف إلى عالم النور والطهارة والتقديس راجين كشف الغطاء للولوج إلى نعيم السماء.

(١٧)

(ربكم حقا وعدنا مثلكم دار البقاء)

كناية عن النشأة الآخرة واعطاء كل ذى فضل فضله، واقرار كل كائن فى رتبته، لأن الله وعد كل نفس هابطة الى الارض العودة الى السماء: لأن الحكمة فى الهبوط هى تطهير النفس وتشريفها وتعريفها ما لم تكن تعرف من قبل. ثم تعود إلى عالم الغيب ثانية متجملة بأثواب الحكمة. متحلية باضواء الأسماء والصفات لتجاور ربها. وتشاهد ما أعد لها من مقام كريم ونعيم مقيم

(١٨)

(ولنا فيها مُقام وخلود وهناء)

اشارة الى ماتقدم من منازل الارواح ، ومراتبها فى جوار ربها ومشاهدته ، والتنعم بالقرب من حضرته فى حياة لاموت فيها وسرور لايشوبه كدر . ولذة لايصحبها ألم . وهناء بغير ضنـــك . ووجود ليس معه فناء .

(١٩)

(ولنا رب رحيم ونصير الاتقياء)

لشعور النفس الانسانية بأنها أقرب الموجودات الى خالقها ومبدعها . واكثرها استعدادا لمعرفته . وادراك سر حكمته وعظم تدبيره

(٢٠)

(وهو وهاب حكيم وكريم فى العطاء)

اقرار واعتراف بما تفضل الله به على الانسان

من رحمة واختصه به من النعم الباطنة والظاهرة . وقيام
له بالشكر على ذلك الفضل .

(٢١)

(وهو للداعى مجيب   وسميع للدعاء)

لأحاطة علمه سبحانه وتعالى بجميع الكائنات
والموجودات من علويات وسفليات . فمن يعلم دبيب
النملة السوداء فى الليلة الظلماء . لايعجز سبحانه وتعالى
أن يسمع النداء ويجيب الدعاء

(٢٢)

(لطفه منا قريب   فى ظهور وخفاء)

ذلك لشمول عنايته الواسعة بالانسان وكلاءته
ورعايته له حيث أنه المقصود من جميع مخلوقاته المخصوص
بالاصطفاء لحضرته ومشاهدته وخلافته وجواره

(٢٣)

(سرنا سر عجيب ضل فيه الاذكياء)

وأى سر أعجب وأعظم مما انطوى عليه الانسان من حكم وأسرار تحير الالباب والافكار! فكل مخلوق - إلا من رحم ربى - تائه حيران فيما انطوت عليه ذاته من الأعاجيب والغرائب . وقد يعلم كل شيء فى العالم ويجهل الكثير من سر انطوى بين جنبيه من نفسه . ولما كان لايهتم بالبحث عن سر حقيقته . ولا يهتم بتلك الحقيقة إلا الذكى الأريب - فكم ضل فى ذلك السر من أذكياء وعقلاء وكل فهم منه على قدر استعداده وفطرته ومركزه فى العلم ونصيبه من الفطنة .

(٢٤)

(جسمنا رمز بديع ألهته القدماء)

الرمز هو العلامة أو الدلالة التى تخفى تحتها حقيقة ماتدل عليه من المعانى . والجسم رمز على الوجود الكونى والوجود العلوى . أو على عالم المبانى وعالم المعانى . وأما فى قول الأستاذ آلهته القدماء ـ فهو يريد الوثنيين من الهندوس وغيرهم من قدماء اليونانيين والمصريين والأشوريين الذين كانوا يؤلهون الأشخاص والأبطال مثل أتباع زرادشت ، وبوذا ، وأودين وفرعون . ونمروذ وغيرهم من مدعى الألوهية ومؤلهة البشر ، وهنا ابتدأ الأستاذ رضى الله عنه يكتب فيما يلى من استار النفس الانسانية ويبين أسرار ماأودع فيها من الحكمة الإلهية مبتدئا من هذا البيت

(٢٥)

ذاتنا كنز ثمين أعيى فهم الحكماء

أى كنز لعمرى وراء ماانطوت عليه النفس الانسانية التى حوت واستوعبت جميع مااختفى فى غيب السموات وانطوى فى زوايا الأرض وخلف مظاهرها من حقائق الاشياء وأسرار الموجودات؟ فهى النموذج الكامل لجميع العوالم والمخلوقات ، كما أشار إلى ذلك سيدنا على كرم الله وجهه مخاطبا الانسان :

داؤك منك وما تشعر
ودواؤك فيك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذى
على نقشه يظهر المضمر

وكيف لايعجز فهم الحكماء أمر لايتميز فيه الفرق

بين العبودية والربوبية إلا لكل حبر حكيم وراسخ علیم . ولذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من عرف نفسه فقد عرف ربه) وذلك لأن النفس الانسانية فى عالمها الاصغر ومملكتها الجسمانية مثال لخالقها فى العالم الأكبر . ولا تفهم من المثال المثل لأن الله يتنزه عن المثلية لاعن المثالية . لأن المثل مقارن والمثال مرآة . وان النفس الانسانيـة أقرب الموجودات إلى بارئها ومبدعها كما تقدم . ومن غاب عنه عرفان نفسه فهو أبعد الكائنات عن معرفة ربه :

ياجاهلا من داره سكناها
وهو يؤدى دائما كراها
أتدرى من أنت وكيف تدرى
وأنت قد عزلت والى الفكر

***

ومما يدل على سمو تلك الذات الانسانية التى لا يصل إلى درك حقيقتها إلا من جعل الله له نورا يمشى به فى الناس حيرة جميع علماء العالم وفلاسفته فى سائر الدهور والعصور ، حتى أن لكل واحد منهم فى هذا الميدان رأى ولم يصل إلى الآن أحد لجواب شاف فى هذه الحقيقة إلا من شرح الله صدره وأفاض عليه من نوره . وألهمه حقيقة نفسه وسر خلقه وحكمة وجوده :

ومهما ارتقيت عن قبيل الحس
أدركت فى نفسك معنى النفس

(٢٦)

(وهى مرآة العلوم وهى قصد الانبياء)

نعم - لأن النفس الانسانية منتقش فيها حقائق

الأشياء وأصولها وهى تعلم سر كل شىء بحقيقتها وجوهرها فكل علم كامن فيها بالقوة ولا ينقصه إلا البروز إلى عالم الأمكان بالفعل، وذلك البروز يحصل إما بالتخلية وإزالة حجاب الطبع والتحلى بالتقوى . وإما بالكسب والتعلم كما قال أحد العارفين : —

واعلم بأن النفس كالمرآة
ينطبع الماضى بها والآتى
وإنما يعوقها أشـــياء
ترك المحاذاة أو الصداء
ولم تزل كل نفوس الاحيا
علامة دراكة للأشيا
وهى من النفوس فى كمون
كما يكون الحب فى الغصون

وإنما تعوقها الابدان

والانفس النزع والشيطان

فكل من أذاقهم جهاده

أظهر للقاعد خرق العادة

ولما كانت النفس الانسانية هى المقصودة من جميع العوالم والمختصة بالتكليف من دونها . المرادة بالخطاب من الأمر كانت بلا ريب قصد الرسل والأنبياء . وليس إلا اليها ما أنزل الله من كتب

(٢٧)

(وهى خلق وهى أمر وهى عرش واستواء)

فعالم الخلق هو عالم الكون الذى نعيش فيه . وعالم الأمر هو عالم الغيب ولما كانت الروح من عالم الأمر — من حيث أنها من نور الحق . ومن عالم الخلق

من حيث أنها مخلوقة ـ كانت خلقا من وجه وأمرا من وجه . ولله الخلق والأمر . وهى عرش الله فى الانسان أيضا لأن القلب عرش الحق فى الخلق . والاستواء بمعنى التجلى الإلهى على القلب النقى

ومهما تعديت عن الأجسام

أبصرت نور الحق ذا ابتسام

أليس فيك العرش والكرسى

والعالم العلوى والسفلى

فهذه حقيقة الانسان

حيث لها نموذج ربانى

وليس لايرى من المعانى دانى

من قلبه فى عالم الابدان

(٢٩)

(وهى لاهوت التجلى وناسوت الاصطفاء)

لاهوت كل شيء حقيقته المعنوية . وناسوته ظاهره الحسى أو غلافه المنطوية فيه تلك الحقيقة اللاهوتية فالذات الانسانية لاهوت تجلى الحق على العبد . لأنها أقرب الأشياء اليه : وهي أيضا ناسوت اصطفائه لأنها المقصودة بالذات للاصطفاء من سائر المخلوقات قال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية)

يامن على القشر غدا يحوم
حتى م عن اللب تصوم
ياسابقاً فى موكب الأبداع
ولاحقا فى جيش الاختراع
أعقل فأنت نسخة الوجود
لله ما أعلاك من موجود

ما الكون الارجل كبير
وأنت كون مثله صغير

(٣٠)

(وهى شمس الذات فينا وهى نور وسناء)

لما تقدم من أن الروح الانسانى قبس من نور الحق أفيض على الانسان بنوع التجلى لابنوع الحلول وأودع فى هيكله إلى أمد محدود . والسناهنا : بمعنى النورلأنه مرادف له ويدل على أن ذات الانسان هى نور الحق فى مظهره وأنها اللطيفة التى يتجلى الله عليها بسائراسمائهوصفاته، قوله تعالى: (ولقدخلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقال سبحانه (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون) وقال (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو

رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم) وقال فى الحديث القدسى : (وما زال عبدى يتقرب إلى حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ولسانه) وهو حديث طويل هذا عجزه . وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نقله الغزالى : (ان الله خلق آدم على صورته) والمراد بالصورة هنا الصورة المعنوية من الاسماء والصفات . ويتعالى الله سبحانه وتعالى عن المشابهة و المماثلة المحسوسة وقال العارف الحكيم :

وهذه الحقيقة النفسية

موصولة بالحضرة القدسية

وإنما يعوقها الموضوع

ومن هنا يُبتدأ الطلوع

وقال الآخر مشيرا إلى الذات العلية

اشتاقها وهى فى سرى مخيمة

ونورها ظاهر مابين أعيانى

وقال آخر :—

أتنكر ليلى وهى فيك تجلت

وتحسبها غيرا وغيرك ليست

انما قال ذلك مع ملاحظة التنزيه والبعد عن اعتقاد الحلول والتشبيه كما قال العارف الآخر :—

وإذا بدا فاعلم بأنك لسته

كلا ولا أيضا تكون سواه

سيان مااتحدا ولكن ههنا

سر يضيق نطاقنا عما هو

وقال أستاذنا ناظم النشيد رضى الله عنه من

قصيدته العينية المشهورة :ـ

ومن عجب أنى مشوق إلى اللقـــا
وفى القلب من نور الحبيب لوامع

ومن المشاهد ان الانسان متحف بجميع صفات الألوهية ، واسماء العزة الصمدانية ، ولا فرق إلا الفرق بين العبودية والربوبية ، وكون تلك الصفات لله ذاتية ، وللانسان وهبية عرضية :

حكم حارت البرية فيها وحقيق بها أنها تحتار

والله سبحانه وتعالى لايودع الاسرار إلا قلوب الاحرار :

ورحم الله من قال :

كل طيب من جيوبى عبقا بعـــد إيقـــانى

عجبا كيف ينافينى البقا   فأرى   فانى

(٣١)

(فاكثروا الشكر جميعاً   فهو أصل الاجتباء)

والشكر ظاهر ، ولكن المقصود منه هنا العمل الموصل والاستعداد المؤهل ، والاجتهاد فى سبيل سلوك الرشاد ، وليس المقصود الشكر باللسان فقط ، دون العلم والعمل ، فالشكر بالفعل هو الأصل فى المحبة والاجتباء والنور والاصطفاء :

(٣٢)

(ثم صلوا كل حين   فى صباح ومساء)

وهنا أشار إلى اقامة الصلاة المفروضة فى أوقاتها بحدودها وشروطها لأنها هى الصلة بين العبودية والربوبية والقرينة الدالة على هذه الاشارة هى قول الأستاذ رضى

الله عنه: فى صباح ومساء ، وان المقصود أيضا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(٣٢)

(على أصل النور طه فى ابتداء انتهاء)

أما كون النبي صلى الله عليه وسلم هو أصل كل نور برز من غيب الخفاء الإلهى إلى عالم الشهود والظهور فهذا شيء لاخلاف فيه فأول نور برز من عالم الأمر إلى عالم الخلق سماه الفلاسفة العقل الأول . وسماه غيرهم من الحكماء العقل الفعال . وأما المحققون من الصوفية فقد أسموه النور المحمدى . لأنه أول الأرواح بروزا من عالم القدم وآخرها شهادة على الناس فى عالم الاخرة . وفى قول الأستاذ رضى الله عنه .

فى ابتداء وانتهاء ، أشارة لطيفة تشير إلى ما تقدم من مقامه السامى صلى الله عليه وسلم . وأنه أصل كل نور وخير فى جميع العوالم والله أعلم .



وفيما يلى بعض الأناشيـــد والقطع المقولة فى تمجيد العزة الإلهية للأستاذ ناظم نشيد الأرواح .

نشيد الاستفتاح

ربنا ياذا العطا أنعم علينا بالرضا
واغفر لنا ما قد مضى واصلح لنا فيما بقى
فإنك الهادى الحكيم
قد ألب الدهر على قلبى المعنى واعتدى
والصبر من وسعى انقضى والنفس من بعض العدى
فادرك بلطف يا رحيم
أنت الذى كل الورى تضرع إليه بالدعا
والنبت مع وحش الفلا والطير فى كبد السما
مسبحا باسم العظيم
وكذا الأملاك والـ أفلاك والرعد كذا
والبرق مع صوت الهوا والصخر والبحر وما

فيه يصلي للعليم

أنت الذى فلق النوى وقوّم حتى استوى
ظلا وقوتا للملأ وزين الكون بما
في علمه العالى القديم

وأنت قيوم الجميع وأنت للداعى سميع
بجد على العبد المطيع بالحلم والعلم الوسيع
وافتح على القلب السقيم

واصلح لنا الدهر الكؤود فالخير من عندك يعود
ومن سوى كرمك يجود فامنحنا يا اسعد السعود
واغمرنا بالفضل العميم

واهدى العصاة المذنبين لدينك الحق المبين
واجعلنا قوما مهتدين واكتبنا ضمن الخاشعين
نخطبنا خطب جسيم

واجعل بلادنا فى أمان واحفظها من غدر الزمان
وارخى إلى العلياء العنان لترتقى أعلا مكان
وتشكر المولى الكريم
ثم صلى دائما أزكى الصلاة مسلما
على النبى معظما ومشرفا ومكرما
محمد النور القديم

نشيد الأسى

يارب يا فتاح يا فالق الأصباح
وراحة الأرواح هيئ لنا الإصلاح
فى القلب والنفس
قلبى إليك اشتاق ياحى ياخلاق

طهر لنا الأخلاق م البغض والنفاق
واغمرنا بالأنس
يا ربنا رحماك فمن لنا سواك
ادخلنا فى حماك واجعل لنا لقياك
أمناً لدى الرمس
واصلح لنا الأحوال واحفظنا من ضلال
فى البأس والأهوال وفتنة الآمال
والجن والإنس
واملأ لنا الصدور من حكمة ونور
وافعمها بالسرور والسعد والحبور
من فيضك القدسى
يا منزل القرآن والحكم والبيان
ثبت لنا الإيمان واكتب لنا الإحسان

واذهب عمى اليأس

أسألك بالكتب والرسل والصحب
وبأسمك الغيبي وسرك المخبي
والخضر والياس

صل على المختار نموذج الأسرار
وبغية الأحرار وصفوة الأخيار
من خيرة الناس

نشيد الحقيقة

يا ربنا منك الهدى والفضل يا ذا الكرم
بالشكر يهتف جمعنا من كل قلب وفم
جدد لنا صفوا يدوم مع العلى وخفي النعم

أنت الوجود ولا سوى والكل من ذاتك ظلال
لك البقاء السرمدى والكون للعارف خيال

وحدتني فوجدتني لما بدا لى حسنكم
عبـــدا وربا والذى ينشـــد ويهتف باسمكم
فاسمح لعبد باللقاء وارفع إليك الكلم

يا من إليه توجهى وجهك أرى فى الأوجه

يظهر وحينا يختفى   لكن لغير العارف

فيا مليكا قد حكم   الأمر أمرك فى القدم
أنا كيف أنسى ودكم   قلبي وروحى عندكم
والجسم أيضا صنعكم   لحمى وعظمى ودمى

خذ منى آنيتى التى   عنى جمالك أخفت
إن الوجود حقيقتى   فافني كيانى واثبت

يا من أذاب توهمى   فسمعته فى النغم
صلى على قطب الجمال   ونور عين العالم
ما بان صبح مشرق   أو لاح فجر باسم

———

القصيدة التمجيدية

يا ربنا كنت من قبل الكون مقتدرا
وكان نورك قبل الشمس والقمر
لك البقاء وكل الخلق فى عـــدم
أنت الحياة ومنك الروح فينا سرى
لم يعرفوك فتاهوا فى عمـــايتهم
وكيف يعرف وصفك من يسير ورا
فوق المكان وفوق الدهر أنت على
وصف الكمال وفعل الكل أنت ترى
خلص نفوسا بثوب الجهل قد كسيت
من جود فضلك يا من للوجود برى
يامن إليه يصـــلى كل منتسب
إلى الحياة ومن فى اللحد قد قبر

يا من عليــــه اتكالى لا تضيعنى
واجبر لكسرى إذا الشيطان لى اختبر
وجهت وجهى لرب الخلق قاطبة
فاسمع ندائى ولا تتركنى منحدراً
واغفر ذنوبى وكل النـاس يا أملى
أنت الذى منـه يجري الحـكم والقدر

يا غراما عـز عن فهم الورى
وسمى بالنفس فوق الأنفس
إن تمنى يُعلي قـدرى فى الهوى
أن تـكن للروح أنت المؤنس
هيج الأشواق صوت همس
فى صميم القلب أجرى أدمع

حيث سهم الحب يثوي رائشا

فى فؤاد الصب حتى الأضلع

بات حبى فى هـــواكم شغفا

وفؤادى بالأمانى مترع

جدد الذكرى سريعا وغدا

مثل لمع الصبح يمحو الغلس

طار معه الفكر يبغى قبسا

من هدى الأحباب نعم القبس

زعم العوازل أن حبك متلفى

وشديد وجدى والتجافى مهلكى

على أن مقدوراً ببابك موثق
ومن العجائب أن قلبي يشتكي
شوقاً إليك وأنت فيه مقيم
يامن لرحمته تطاولت المنى
وعميم فضل في الشدائد ما وفى
من لي سواك لدى الحساب مطمئنا
قسما بلطفك ما تغير عهدنا
فالحب باق والوداد قديم


تم ولله الحمد